عمارة القلاع وتخطيطها في العراق

(دراسة مقارنة)

أ.م.د. سعدي إبراهيم الدراجي

مركز إحياء التراث العلمي العربي/جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

تسلط هذه الورقة الضوء على القلاع في العراق خلال العصر العثماني لمعرفة أنواعها ودراسة تخطيطها والوقوف على طبيعة عمارتها، وهي محاولة جادة لدراسة جانب مهم من العمارة العسكرية المتأخرة في العراق ودوافع بنائها المرتبطة بأحوال البلاد السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية.

ولا شك في أن الوقوف على أمثلة من القلاع وتوثيقها يسهم في حفظها من الضياع بوصفها ارث حضاري يمثل فترة تاريخية معينة، ودراسة تخطيطها بالمقارنة مع قلاع أخرى انتشرت في مختلف أنحاء البلاد والأقاليم المجاورة أو البعيدة تسهم في معرفة مدى التأثير والتأثر.

ومن فوائد البحث تأكيد هوية المعمار العراقي الذي أسرهم في تشييد الأمثلة التي قامت عليها الدراسة، كما هو واضح من خلال المواد المحلية المستخدمة في بناء الجدران والعناصر المكملة لها. فضلا عن طريقة البناء بالطين أو الحجر والآجر والجص وأساليب التسقيف بالأقبية أو الخشب.لقد تم حصر القلاع العراقية المشيدة في العصر الذي نؤرخ له بثلاثة أنواع:

1 -القلاع الداخلية (أيج قلعة)

2 -قلاع المشيدة على الطرق البرية والنهرية

3 -قلاع الزعامات المحلية وشيوخ القبائل المبنية في جنوب العراق وشماله.

أنواع القلاع خلال العصر العثماني:

1 - **القلاع الداخلية** (**أيج قلعة**):

شاع في العصر العثماني نوع من القلاع تقام عادة داخل المدن الكبيرة يطلق عليها الأتراك (ايج قلعة) أي القلعة الداخلية والهدف من أقامتها حماية الحكام والمسؤولين وأتباعهم وجندهم من الأخطار الخارجية، فضلا عن استخدامها وسيلة مهمة للقضاء على الفتن والاضطرابات التي قد تحصل داخل المدينة . حيث تعد القلاع داخل المدن العراقية من أهم مرافقها البنائية , وأكثرها حيوية , بوصفها أحدى المؤسسات المهمة التي تجمع الوالي وأتباعه , كما أنها تمثل الصفة العسكرية البحتة التي تتصف بها السلطة الحاكمة في المدينة.لذلك هي تحتل مواضع متميزة فتبنى على روابي أو تقام على ضفاف الأنهار لتسهيل مهمة اتصالها بالخارج وتامين خطوط دفاعاتها وقت الخطر، وتشحن بالجند والمؤن والسلاح والذخيرة وتزود بمخبز ومسجد ومحل لإقامة الوالي وأحيانا تضم سجنا ومخازن للبارود فضلا عن قاعات الجند. وقد اقتصر وجود هذا النوع من القلاعفي العراق على المدن الكبيرة مثل بغداد والموصل والحلة.

تعد قلعة بغداد الداخليةالمعروفة بـ (ايج قلعة سي) أقدم مثال بني في العراق وبنائها كان على الأرجحفي أواخر حكم الأسرة التركمانية القرهقوينلو (دولة الخروف الأسود). خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي . وبعد أن خضعت بغداد للسيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام 1534م، اتخذها العثمانيون في أول عهدهممقرا للحكم،وقد احتلت الركن الشمال الغربي داخل الأسوار على ضفاف دجلة الشرقية، في مكان وزارة الدفاع القديمة . كما اتخذها والي بغداد بكتاشي خان (1631 .1638م) مقرا له وذلك في عهد السيطرة الصفوية

وبجانبها انشأ السراي(١). الذي صار مقرا للولاة الذين تعاقبوا على أدارة بغداد طيلة العصر العثماني.

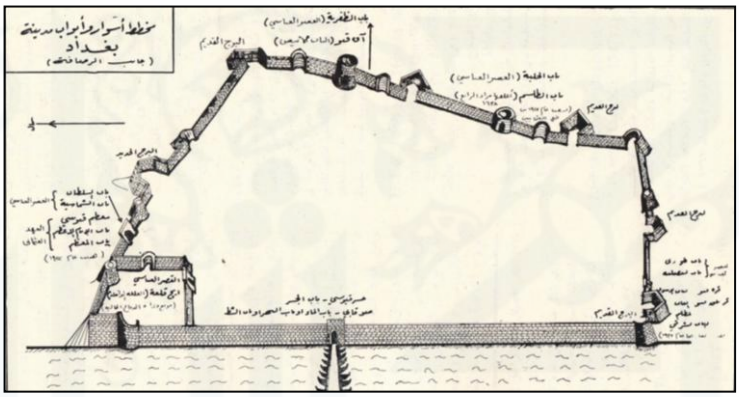

(الخارطة - 1) بغداد كما رسمها تافرنيه

والقلعة تشغل مساحة كبيرة من ركن المدينة الكائن في الزاوية الشمالية الغربية من سور بغداد المطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة (٢). يحدها سور المدينة من الشمال وسور آخر مستقل من الجهات الثلاث مزودة بعدد من الأبراج. وصفت عام 1580م بأنها حديثة البناء تقوم في وسط ميدان واسع، يقيم فيها الباشا مع حامية من السباهية (الخيالة النظامية) والانكشارية(٣).

لقد رسم تافرنية القلعة الداخلية مع سور المدينة عام 1652م وقدر حاميتها بثلاثمائة انكشاري يرأسهم أغا . (الخارطة – 1) ووصف سورها بأنه مدعم بأبراج صغيرة تحمل فوقها مدافع بلغ عددها نحو مائه وخمسين مدفعا . وحول القلعة خندق ضيق لا يتجاوز عمقه ا لقامتين أو الثلاث. وأمام بابها جسر يمتد فوق الخندق (٤). أما بارسونز (1775م) الذي أبدى إعجابه بسعة القلعة وتحصيناتها، فقد وجد فيها على ما يذكر ثلاثة ألاف مقاتل، وأربعون مدفعا من البرونز منصوبة فوق أسوارها التي

يربو ارتفاعها على 13 قدم. كما قدر عرض الخندق الذي يتقدم أسوارها بـ35 قدم وعمقه 13قدم(٥).

وفي عام 1765م نجح نيبور في رسم أسوار بغداد وتحصيناتها في الجهة الشرقية متوخيا فيها الدقة . ومنها القلعة الداخلية التي كانت تستخدم أثناء زيارته مستودعا للبارود والذخيرة . وسورها مدعم بعدد من الأبراج الاسطوانية بعضها ك بير قائم في الأركان وبعضها الآخر صغير موزع على طول السور من كافة الجهات (٦). ويصف أوليا جلبي القلعة بأنها مشيدة بالحجر والآجر، يحيط بها خندق، ولها مدخلان احدهما يؤدي إلى البلدة يواجه القبلة بشكل مكشوف وآخر كان قد تسلل منه بكر الصوباشي فأغلق بعد ذلك . كما يوجد في القلعة مخازن لحفظ العتاد وحمام يسمى باسم حسين باشا الشاطر ومسجد عرف بمسجد مراد خان(٧).

(الصورة - 1) جانب من سور القلعة امام ساحة الميدان

إن أفضل ما خلص ألينا عن القلعة وسورها , صورة رسمت بريشة مدام ديولافوا سنة 1881م(٨), وفيها تظهر الأبراج وقد زودت نواصيها بمدافع مهيأة عبر فتحات كبيرة موزعة على ستارة البرج تتخللها عددا من المزاغل . ويبدو سور القلعة متوج بشرفات دائرية الشكل صفت متراصة بانتظام لتحمي المدافعين الذين يقفون خلفها عند الضرورة للمراقبة أو في حالات القتال . أما المدخل فيبدو في الصورة على شكل برج تتوسطه فتحة متوجة بعقد، وقد زود المدخل بمزاغل وسقاطات إمعانا بتحصينه بوصفة إحدى النقاط المستهدفة وقت الهجوم. (الصورة –1)

لقد رسمت القلعة في الخرائط التي وضعت لبغداد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من قبل لفيف من المساحين الأجانب . وأقدم هذه الخرائط تلك التي رسمها فيليكس جونس وكولينكوود (1853–1854م), وتعد من أوضح الخرائط الموضوعة لمدينة بغداد في تلك الفترة , حيث شملت جميع محلات بغداد وشوارعها وأسوارها بجانبيها الشرقي والغربي . ومن الملاحظ أن هذه الخارطة جاءت مطابقة للخارطة التي وضعها نيبور قبل مئة عام للجانب الشرقي(٩).

ويشاهد في هذه الخارطة سور الجانب الشرقي وهو غير منتظم الأبعاد وقد ضم داخله جميع المحلات السكنية القديمة , وله أربعة أبواب، وقد أشر فيليكس جونس أهم المعالم العمرانية التي شاهدها آنذاك ومنها القلعة ورسم سورها وأبراجها الكبيرة التي كانت جزءا من سور المدينة، فضلا عن الأبراج الأخرى الموزعة على جدرانها الخارجية من الجهتين الشرقية والجنوبية . كما رسم المنشات التي شاهدها قائمة في وسطها. (الخارطة – 2).

(الخارطة - 2) بغداد كما رسمها فيلكس جونز وكولينكوود / عن احمد سوسه

وفي أوائل القرن العشرين وضعا ساره وهيرزفلد خارطة لبغداد وضواحيها بجانبيها الشرقي والغربي، حيث يشاهد في خارطتهما سور الجانب الشرقي وأبوابه الأربعة وفي داخلها القلعة . والرسم يطابق ما جاء في خارطة جونس وكولينكوود، ويعتقد المرحوم احمد سوسه بان ساره وهيرزفلد استعانا بخارطة جونس وكولينكوود في وضع خارطتهما ولاسيما فيما يختص بالمحلات.

والمسح الدقيق لمدينة بغداد قام به رشيد الخوجه عام 1908م، عندما كان رئيسا ركنا في الجيش العثماني، وعمله جاء مؤيدا لصحة ما دونه ساره وهيرزفلد في خارطتهما وكان هذا آخر مسح مفصل لمدينة بغداد في العهد العثماني(١٠).

ويلاحظ في هذه الخارطة رسم السور في الجانبين الشرقي والغربي بكاملة وعدم تأشير

الأجزاء المزالة منه في السنوات السابقة . ورسم الأبراج الكبيرة التي كانت تحمي القلعة من جهة النهر بوضوح . كما ظهرت القلعة والسور على الخارطة التي وضعها المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون عام 1908م(١١).

والقلعة الداخلية الأخرى كانت قائمة في الموصل وينسب تشييدها إلى الوالي بكر باشا بن إسماعيل بن يونس الموصلي الذي اتخذها مقرا لإدارة ولايته وجيشه والانكشارية(١٢), حيث تولى الموصل سنة (1030هـ – 1620م) ونقل منها بعد سنة واحدة, ثم أعيد إليها سنة (1035هـ – 1625م)(١٣).وموقعها داخل ألأسوار مقابل سوق الميدان وقد عرفت باسم "ايج قلعة". تميزا لها عن بقايا القلعة القديمة "باشطابيا" التي أصبحت بعيدة عن المدينة في العصر العثماني.

وحظيت القلعة بعناية الوالي حسين باشا الجليلي الذي حصنها وعمرها بأمر السلطان محمود خان في سنة (1157هـ – 1744م), وقد ثبت الشاعر الشيخ أبو القاسم الرامي تأريخ تجديد القلعة بقصيدة له , ضمنها تأريخ التجديد بشطر نصه : (جدد القلعة أندى الوزرا الوالي حسين)(١٤).

وكانت القلعة بحالة غير جيدة حتى تولى الموصل أحمد باشا الجليلي الذي عنى بها في عام (1237هـ – 1821م), حيث تشير الكتابة التي نقلها المؤرخون من هذه القلعة إلى العناية التي بذلها هذا الوالي في تعمير أسوارها ومسجدها . ومنها الكتابة التي فوق باب القلعة مقابل الميدان , والكتابة فوق رخامة مثبتة على الجانب الأيمن من الباب , وأبيات من الشعر مثبتة فوق باب المصلى , وكذلك نصوص من القرآن الكريم فوق المحراب(١٥).

بقيت القلعة قائمة حتى بداية هذا القرن , حيث أزيلت مع سور المدينة , ويذكر المرحوم سعيد الديوه جي أنه أدرك جانبا من بنايتها التي كانت قائمة في الناحية الجنوبية وكانت قد اتخذت مقرا لوالي الأملاك في العصر العثماني , وبعد ذلك اتخذت مقرا لدائرة الماء والكهرباء , وبعضها اتخذ محكمة , ويذكر بأن لها بابين , باب يؤدي إلى الميدان يعبر إليه بجسر خشبي كان فوق الخندق الذي يحف بالقلعة , وباب آخر صغير يؤدي إلى النهر وهو باب السر(١٦).

وفيما يتعلق بعمارتها , فقد أمسكت ا لمصادر التاريخية عن ذكر تفاصيلها العمارية , ولم يردنا في كتب الرحالة الأجانب ما يساعد على معرفة شكل القلعة وتفاصيلها بدقة . وقد زارها الرحالة الفرنسي تافرنيه سنة 1054هـ . 1644م, وقال عنها وهي "قلعة صغيرة مطلة على دجلة يقيم بها الباشا"(١٧).

ووصفها الاب فنشنسو عام 1656م بأنها مهملة وبحاجة إلى ترميم لان قسما منها آيلا إلى السقوط أو متهدما وقد بنيت بالحجر والجص. وشاهد فيها عددا كبيرا من المدافع موزعة فوق الأسوار بيد إنها غير مجهزة بعربات بل كانت تستند على الحجارة ولاسيما تلك التي عند الأبراج . وعن تحصيناتها ذكر ان للقلعة سور مزود بمزاغل، وحولها خندق ياخذ مائه من النهر. وكانت في هذه الحقبة التاريخية مقرا لوالي الموصل يقيم فيها ومعه عددا كبيرا من الانكشارية(١٨).

كما زارها الرحالة تيفنو عام 1664م وذكر بأنه "يوجد قرب النهر قلعة عالية تمتد مع النهر، أما شكلها فيكاد يكون بيضويا يمتد مع النهر وقد بنيت الواجهة المطلة على النهر بحجارة منحوته. ويرتفع السور المحدق بها حوالي 6م. أما من جهة اليابسة فهي منفصلة عن المدينة بخندق عميق جدا عرضه عشرة أمتار أو أكثر وللقلعة مدخل

من الجهة اليابسة والبوابة في وسط برج جسيم مربع الشكل مشيد فو ق قنطرة كبيرة يجري من تحتها ماء الخندق وهناك جسر متنقل لابد من عبوره للوصول إلى البوابة، وقد كان البرج فيما مضى مزوداً بالمدفعية"(١٩).

وفي سنة (1180هـ – 1766م) زار الرحالة الدانيماركي نيبور مدينة الموصل ورسم لها مخططا , أوضح فيه شكل المدينة وسورها وقلعتها ال داخلية (الخارطة –3) وكتب بأنها "تقع على جزيرة صغيرة مستطيلة الشكل في نهر دجلة , وتتخذ الآن مستودعا للذخيرة والعتاد ..."(٢٠).

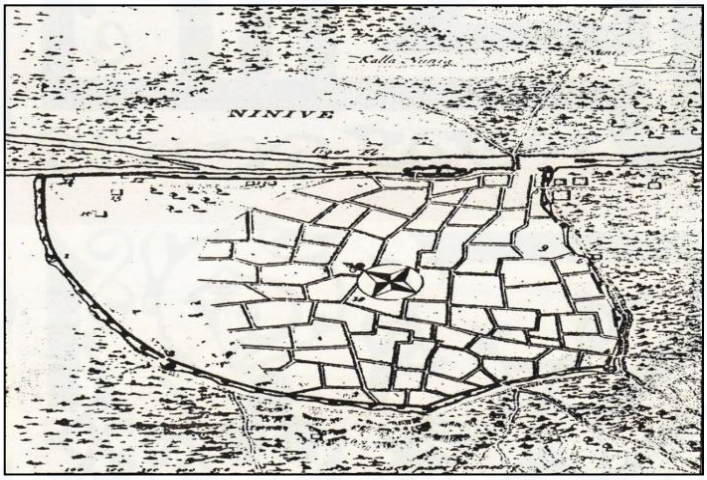

(الخارطة - 3) الموصل عام 1766م/ عن نيبور

وفي سنة (1231هـ – 1816م) زارها الرحالة الانكليزي بكنغهام وذكر "أما من ناحية النهر فتقوم إحدى القلاع بالدفاع عن المدينة وهذه القلعة صغيرة مخربة تقع على جزيرة اصطناعية نشأت عن امتداد مياه دجلة من الضفاف التي تقع عليها القلعة إلى الخندق العميق الذي يحيط بها , وهي تقع على مقربة من جسر القوارب الذي يعبر به النهر . والبناية مثلثة الزوايا وقد شيدت من الآجر وليس فيها سوى

مساكن قليلة للجنود الذين يؤلفون الحامية فيها , وقد انتشرت على مقربة من القلعة بضعة مدافع من البرونز القيت مهملة وغير صالحة للاستعمال"(٢١).

ومما تقدم نستنتج إن القلعة بنيت بالآجر على جزيرة يفصل بينها وبين المدينة خندق يأخذ مياهه من نهر دجلة وفوق الخندق جسر خشبي يصل باب القلعة بالميدان الذي أمامها, فضلا عن باب آخر صغير من جهة الشرق يقود إلى النهر وهو باب السر الذي يستخدم للخروج وقت الخطر وعندما تكون القلعة محاصرة.

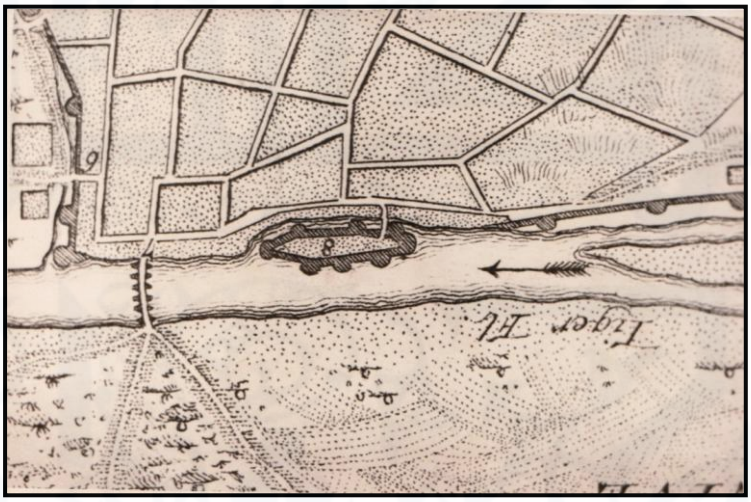

(الخارطة ـ 4) جزء من خارطة الموصل تظهر فيها القلعة الداخلية/ عن نيبور

وقد رسم نيبور القلعة بشكل مثمن (الخارطة – 4) وأحاطها بثمانية أبراج كبيرة عند زواياها, ويقينا إن هذه الأبراج كانت على قدر غير يسير من الضخامة والسعة بحيث تتحمل ثقل المدافع وحركتها. كما تضم القلعة مرافق بنائية عديدة منها مخازن العتاد والذخيرة, ومخازن الطعام وقاعات لسكنى الجنود, ومسجد, وربما ضمت جناحا يمتاز بطرازه العماري يستخدمه الوالي عند إقامته بالقلعة.

وفي الحلة يردنا أول ذكر لبناء قلعة داخل المدينة في عام (1040هـ – 1730م) عندما احتلها الصفويون, حيث أمر الشاه صفي بإقامتها(٢٢). كما اهتم العثمانيون بالمدينة لأهميتها العسكرية الكبيرة وعززوا دفاعاتها , حيث أمرت الحكومة بإنشاء قلعة محكمة وصفها الرحالة الفرنسي(Eloy) عام1828م بأنها قوية مشيدة بطابوق مدينة بابل الأثرية .(٢٣) ويبدو أنها بنيت في الجانب الشرقي (٢٤) لقلة الأحياء السكنية فيه مقارنة بالجانب الغربي (٢٥)، حيث أصبحت مقراً للحامية العسكرية التي بلغ تعدادها عام 1830م ما يقرب على (300) جندي(٢٦)، بعد أن وفرت الحكومة فيها جميع المستلزمات الأساسية التي يحتاجها الجند وانشأ في داخلها مخبز .(٢٧) كما استغلت المساحة التي أمامها ميدان للتدريبات العسكرية ولألعاب الرياضية.

ولم تكن في البصرة قلعة داخلية كما في بغداد والموصل , بل كان السراي الذي اعتنى به الولاة المتعاقبون على إدارة البصرة يقوم مقام القلعة الداخلية . فضلا عن وجود الثكنات العسكرية العديدة التي كانت كل واحدة منها مخصصة لأحد أصناف الجيش كالثكنة الخاصة بالقوة البحرية (القوبدان) أو ثكنة المدفعية (الطوبخانه) أو ثكنة الجند المشاة (القشلة)(٢٨).

2ـ القلاع على طرق المواصلات:

ظلت التجارة في العراق تعتمد في تنقلاتها على الحيوانات حتى بعيد الحرب العالمية الأولى، وكانت قوافل الجمال هي الوسائط الرئيسة للنقل البري، فضلا عن استخدام نهري دجلة والفرات، وكانت تلك القوافل على نوعين قوافل لنقل البضائع وأخرى لنقل المسافرين والحجاج. وكلاهما تحتاج إلى أدلاء وقوة مخصصة لحراستها لان اغلب الطرق محفوفة بالمخاطر والسُراق . ولا شك إن هذا التنظيم يتطلب توفير الماء

والطعام والراحة وتبديل الحيوانات، فاستلزم ذلك إنشاء بعض القرى والمدن والخانات والقلاع بوصفها محطات تقوم في أماكن مناسبة على امتداد الطرق لتقديم الخدمات.

وقد اهتم بعض السلاطين أنفسهم بحماية القوافل وطرقها، ومنهم السلطان سليمان القانوني الذي اصدر أوامره ببناء سلسلة من القلاع على طول طريق الحج الشامي الذي يبدأ من جنوب دمشق وحتى المدينة المنورة وأمر أن ترابط في كل قلعة حامية عسكرية لتوفير الأمن وتقديم التسهيلات التي تتطلبها القوافل (٢٩). كما سعى حكام العراق في كل العهود إلى المحافظة على سلامة الطرق وضمان استمرارها، ولاسيما الوالي مدحت باشا الذي اهتم ببعض الطرق ومنها طريق الفرات، حيث جهز القوافل بالحرس المسلحين، وأقام الحصون ومراكز الحراسة في كثير من المدن والنقاط المهمة(٣٠).

ولا شك ان القلاع التي تبنى على الطرق الخارجية أو على ضفاف الأنهار والسواحل لتامين حركة القوافل وتنشيط التجارة والمساعدة في جمع ا لضرائبتحتل بالضرورة موضع مرتفع تسيطر منه على جميع النقاط المحيطة بها .وفي بعض الأحيان تشيد لحماية المضايق الجبلية المهمة كالقلاع التي أنشئت على مضيق دربندبازيان في العصر العثماني من قبل عبد الرحمن باشا حاكم السليمانية عندما كان يسعى للظفر بالاستقلال. وقد هد مت تلك القلاع اثر تغلب سليمان الصغير (1808-1810م) والي بغداد عليه(٣١).

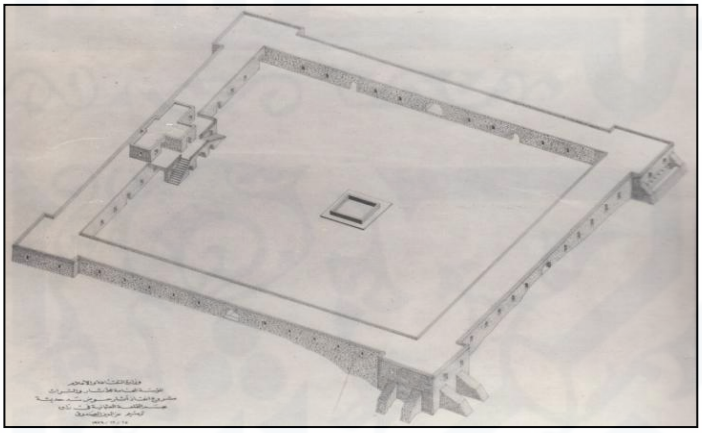

(المخطط ـ 1) قلعة راوة عن دائرة الاثار والتراث

أو تقام القلاع على الممرات المائية لاستيفاء الرسوم والضرائب المفروضة على البضائع التجارية كما في قلعتي القرنة والعجوز . أو تقام لحماية الممرات المائية التي تستخدم طرق مواصلات، كما في قلعة أسكي موصل التي تطل على نهر دجلة أو قلعة راوه والأخيرة أزيلت كلية في ثمانينيات القرن العشرين، وكانت تحتل أعلى نقطة من المدينة لتشرف عليها وتسيطر على حركة النقل في نهر الفرات . وتاريخ بنائها خلال فترة حكم الوالي العثماني مدحت باشا (1869. 1872م)(٣٢). مبنية بالحجر والجص وهي مربعة الشكل يتوسطها صحن واسع تحيط به أربعة أجنحة بنائية جلها قاعات كبيرة لمبيت الجند تتألف من طابق واحد . والقلعة محصنة بأربعة أبراج ركنية مربعة صممت على شكل حجرات واسعة مزودة بعدد من الفتحات بعضها نوافذ لإدخال الضوء والهواء وبعضها الآخر مزاغل للرمي بالبنادق . وللقلعة مدخل رئيس مفتوح في وسط الجناح الشمالي الغربي متوج بعقد يقود إلى إيوان على جانبية حجرتان للحرس، وفوق كتلة المدخل طابق علوي يضم بعض الغرف لعلها كانت لذوي الرتب .(المخطط – 1)

ومن أهم الطرق البري المعززة بالقلاع هو الطريق الذي يربط جنوب العراق بشماله يسير شرق دجلة حيث يمر بعد خروجه من بغداد بالخالص وطوز خرماتوو داقوق وكركوك ثم أربيل عبر آلتون كوبري إلى الموصل . ولهذا الطريق فروع تؤدي إلى مدن عراقية كان لها شان كبير في التجارة خلال العصر العثماني، من أهمها الطريق الذي يربط كركوك بالسليمانية عبر جمجمال (٣٣)، وآخر يربط كركوك بالسليمانية عبر كويسنجق ودوكان (٣٤). وقد سعى الولاة العثمانيين وزعماء الإمارات الكردية إلى تحصين هذا الطريق بسبب أهميته التجارية والعسكرية حيث نشأة عليه سلسلة من القلاع لم يبق منها سوى واحدة في كويسنجق، وأخرى في دوكان . وقلعة كويسنجق لا تختلف في تخطيطها عن قلعة راوة وهي مبنية على الارجح من قبل مدحت باشا (٣٥) (المخطط . 2).

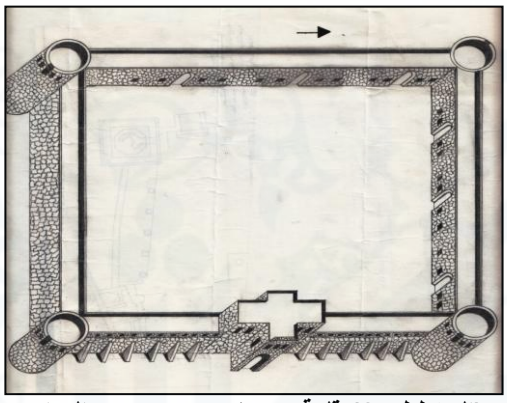

(المخطط - 2) قلعة كويسنجق عن سعدي الدراجي

وعلى امتداد الضفة اليسرى لنهر ديالى هناك طري ق تاريخي يربط ديالى بشهرزور عن طريق ممر دربندخان . أقيم عليه سلسلة من الأبراج الاسطوانية (مفاتيل) تتخللها بعض القلاع الصغيرة للإشراف وإدارة تلك الأبراج . وذلك نظرا لأهميته الكبيرة إذ يعد احد طرق البريد في العصر العثماني التي تربط بغداد باستانبول بعد ان

يمر بسهل شهرزور والموصل وماردين وديار بكر (٣٦). فضلا عن ذلك فان المنطقة كانت تتعرض إلى اعتداءات إيرانية طالما شغلت العثمانيين لفترات طويلة . لهذا سعى بعض ولاة بغداد ومنهم مدحت باشا إلى تحصين هذا الطريق بإقامة عدد من هذه الأبراج التي يدل شكلها على وظيفتها كنقاط سيط رة ومراقبة لتامين وحماية القوافل التجارية، هي بمثابة نقاط إنذار مبكر للجيش إذا ما حصل تحرك عسكري.

(الصورة ـ 2) برج على طريق ديالى شهرزور تصوير الباحث عام 1983م

ومن الطبعي أن تحتل تلك الأبراج مرتفعات تسيطر منها على المنطقة والطريق المذكور، وهي دائرية قطرها يقارب ارتفاعها يربو على خمسة أمتار، تتكون من طابقين مسقفين بالخشب، ومعظمها مبني بالحصى الكبيرة الحجم لتوافره بالمنطقة . وكل منها مزود بموقد نار ودرج. وقد شحن الطابق العلوي بصف من المزاغل عمودية الشكل(٣٧). (الصورة – 2)

ومن المفيد ذكره إن بعض القلا ع تقام على الطرق العسكرية لتقوم بتقديم الخدمات إلى الجيش أثناء مروره بها . وكذلك تبنى على الحدود لرصد تحركات الأعداء ودرء الخطر، والأخيرة بمثابة خط دفاعي أول للجيش أو على الأقل نقطة إنذار مبكر. وهذا النوع من القلاع أقيم على طول الحدود العراقية الإيرانية التي شهدت مشاكل ونزاعات لقرون عديدة . حيث رأى مدحت باشا من الضروري بناء سلسلة من القلاع على طول الحدود بين الدولتين من كلفير في السليمانية إلى خانقين، وشحنها بالمتطوعين لتوفير الاستقرار للساكنين على الحدود ومنع الإيرانيين من التسلل والاعتداء(٣٨).

3. قلاع الزعامات المحلية

نظرا للظروف الصعبة التي رافقت الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها العشائر في وسط العراق وجنوبه خلال العصر العثماني وما صاحبها من سوء في العلاقات العثمانية الصفوية وكثرة الحروب بينهما، شجعت الزعامات المحلية من شيوخ وإقطا ع على تبني بناء سلسلة من القلاع في قراهم وأراضيهم الزراعية، لما لهذه المنشات من أهمية عظيمة في الدفاع عن النفس والممتلكات وقت الأزمات والحروب، فضلا عن القلاع الكبيرة التي أقامتها السلطة العثمانية في محاولة منها للسيطرة على المنطقة وتمكينها من استيفاء الرسو م وجمع الضرائب.

ويبدو أن القلاع التي تقام من قبل زعماء العشائر في جنوب العراق قديمة، فعندماحاول العثمانيون عام 956 هـ – 1549م إخضاع البصرة والقضاء على ثورة آل عليان فيها فشلوا.ويبرر نظمي زاده سبب فشل الحملة التي قادها والي بغداد علي

باشا، لأنهم وجدوا الأعراب في منطقة القرنة قد "تحصنوا ببعض القلاع التي احكموا تحصينها لمثل هذا اليوم".(٣٩)

إن ضعف الولاة وقلة إمكانيات الدولة أحياناشجعت بعض القبائل الكبيرة في وسط العراق وجنوبه على العصيان، والعزوف عن دفع الضرائب فتضطر الحكومة إلى حملات تأديبية لإخضاعهم. وفي هذه الظروف كثيرا ما تتحد القبائل المتجاورة مع بعضها ضد العدو المشترك فتتشكل من هذا الاتحاد قوة كبيرة يصعب على الأتراك إخضاعها. فعلا سبيل المثال لا الحصر كان والي البصرة في نهاية القرن الثامن عشر لا يمتلك سوى خمسمائة جندي، وفي المقابل كان في استطاعة احد الشيوخ أن يجمع قوة تتألف من 50 إلى 60 ألف خيال وله بين 18 أو 20 سفينة صغيرة مجهزة بمدافع لذلك كان بإمكان هذا الشيخ أن يصعد عن طريق شط العرب ويحتل البصرة لا بل يهدد بغداد أيضا لو أراد(٤٠). وعندما امتنع شيخ الخزاعل في الحلة من السماح لمرور السفن التجارية في الفرات نحو بغداد بحرية كاملة، جهز شيخ عرب المنتفك ثلاثون ألف فارس لتحقيق ذلك(٤١).

ولا شك إن انتشار القلاع في وسط وجنوب العراق بأعداد كبيرة يعكس أهميتها في الدفاع ودورها في استتباب الأمن والحفاظ على الأرواح والممتلكات، ليس هذا فقط بل أصبح وجودها في تلك الأصقاع ضرورة ملحة بوصفها أبنية لها قدرة للصمود أمام الدولة، أو الوقوف حائلا دون وصول السلطة العثمانية إلى القرى وعدم تمكينها من جمع الضرائب المفروضة على المواشي والحاصلات الزراعية . لذلك نجد تزايد أعدادها باستمرار، بعضها قلاع كبيرة تخص المشايخ والزعامات وبعضها قلاع صغيرة على شكل أبراج تقوم منفردة تعرف بـ (المفاتيل)(٤٢).

والحقيقة ليس لدينا إحصائيات دقيقة حول عدد القلاع في عموم العراق خلال العصر العثماني، لكننا نستطيع أن نتلمس تزايدها وانتشارها في القرى والأرياف ومختلف مناطق الصراع من خلال الأحداث التاريخية التي مرت بها الم نطقة في عهد الاحتلال البريطاني . وعلى سبيل المثال منطقة الدغارة القريبة من مدينة الديوانية. حيث اضطر الأهالي وشيوخ العشائر المناوئة للانكليز في هذه المنطقة إلى تلبية طلب الحاكم السياسي البريطاني هناك (الميجر ديلي) والقيام بتهديم ثلاثمائة وخمسون قلعة مبنية في العصر العثماني موزعة في مناطق شرق الديوانية أو ما يعرف بالدغارة وقراها العديدة، وسلموا ثلاثون ألف بندقية وجبروا على دفع الأموال الأميرية المفروضة عليهم من قبل السلطات المحتلة(٤٣). وقد سعى الانكليز إلى التخلص من هذه القلاع لأنها كانت تقف عقبة أمام الإدارة البريطانية وتعرقل تقدمها في المنطقة وتضعف قدرتها في فرض الضرائب واخذ الرسوم.

وتمتلك معظم العشائر الكبيرة في الجنوب قلاع مازالت أطلالها واضحة للعيان في ذي قار والسماوة والكوت والبصرة. وعلى سبيل المثال عشيرة الحسينات في السماوة كانت تمتلك أكثر من خمسين مفتول وقلعة (٤٤). وكذلك عشائر بني خيكان أيام الدولة العثمانية كانت تتحصن في جزر صغيرة منتشرة وسط الفرات، ولم يستطع الأتراك إخضاعهم لأنهم مسلحون تسليحا جيدا ومتحصنين بمئات المفاتيل.

وتتميز قلاع شيوخ العشائر بسعتها ومناعتها تتحصن بها وقت الأزمات والحروب مازالت أثارها قائمة ومنها قلاع الشيخ محسن السعدون المبنية في السماوة وقد وصفت بأنها فخمة مزودة بأبراج كبيرة ومن أشهرها قلعة الزريجية وقلعة الغليضة وقلعة الخناق وقلعة المحدد وقلعة أم أذان(٤٥). وقد وصف الرحالة ريج بلدة البغيلة –

او النعمانية كما هي معروفة في عصرنا الحاضر– واتى على ذكر قلعتها المبنية بالآجر وكان يقيم بها شيخ عشيرة زبيد(٤٦).

والحقيقة إن قلاع الزعامات المحلية المبنية في وسط العراق وجنوبة خلال العصر العثماني كثيرة بل لا يحدها الحصر، لكنها أزيلت ولم يبق إلا أسمائها أو النزر اليسير من أطلالها ولاسيما المبنية في أطراف المدن أو بعيدا في البادية . ومن أهم الأمثلة الباقية هي قلعة الكصير في بادية السماوة وقلعة الرحبة الواقعة جنوب غرب النجف وقلعتي الشنافية وذريب في نواحي محافظة الديوانية وقلعة الشعيبة في البصرة، وقلعة الخميسية في سوق الشيوخ، وقلعة عبد العزيز الفواز في ناحية الحسينية ضمن محافظة كربلاء(٤٧).

وتعد قلعة الكصير من الأمثلة المهمة للقلاع المبنية في الفترة التي نؤرخ لها، وقد شاهدها الرحالة البرتغالي تكسيرا الذي زار العراق عام 1604م ونسبها إلى الشيخ محمد بن راشد بن مغامس، وكان رحالتنا مع قافلة خرجت من البصرة تريد الشام وقد توقفت عند القلعة لدفع الرسوم إلى رجال الشيخ المذكور (٤٨). والقلعة مصممة على الطراز القديم. مربعة الشكل تبلغ مساحتها بحدود 1800م، يحيط بها سور مبني بالآجر والجص ثخنه يربو على ثلاثة أمتار . مدعم بأربعة أبراج ركنية كبيرة دائرية الشكل، وأخرى صغيرة شغلت وسط الجدران . وصحن القلعة خال من البناء باستثناء حجرة أو حجرتين مهدمة في الوقت الحاضر، كما إن معظم أجزاء السور العليا والأبراج قد تضررت والت إلى السقوط. (المخطط – 3)

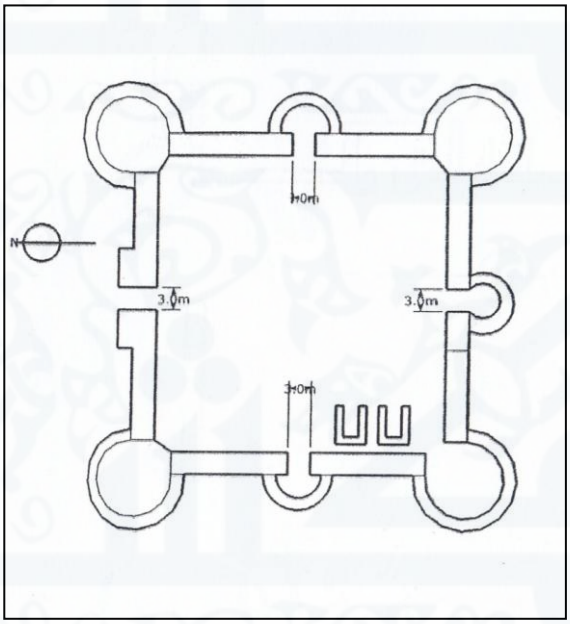

(المخطط - 3) قلعة الكصير عن رجوان

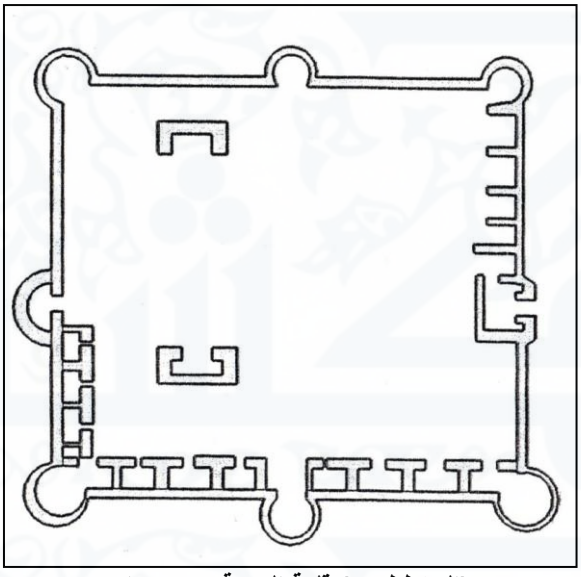

(المخطط - 4) قلعة الرحبة عن رجوان

ان اعتماد هذا الشكل المربع المدعم بثمان أبراج أو سبعة م نها أربعة ركنية كبيرة دليل على فعاليته في الدفاع . لذلك لا غرو أن نجد عددا من القلاع في وسط العراق وجنوبه مبنية وفق هذا التخطيط، ومنها قلعة (شلال) وقلعة (الرحبة) والأخيرة من القلاع الكبيرة القائمة على عين ماء قرب النجف ومساحتها تربو على ثلاثة ألاف متر مربع، (المخطط . 4) وقد أشار أليها الرحالة تايلر عام 1790م(٤٩). وهي مبنية بالحجارة غير المنحوتة والجص وجدرانها في الوقت نفسه مغلفة بالآجر، مزودة بمدخل منكسر واستحكامات دفاعية متنوعة، وفيها عددا من الحجرات والاواوينمسقفة بأقبية نصف دائرية(٥٠).

كما توجد قلاع أخرى في الفرات الأوسط وبعض المناطق في الجنوب تنسب لشيوخ القبائل أيضا مبنية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، تتصف ببساطة بنائها وصغر مساحتها قياسا للقلاع السالفة الذكر، مبنية بالآجر وبعضها بالطين. ومنها قلعة الشعيبة وهي مستطيلة لها واجهة مزودة ببرجين، أقيم في داخلها مجموعة من الحجرات تعلوها غرف تنفتح على صحن صغير، والحجرات مسقفةبجوائز من جذوع النخيل يعلوها قصب فوقه طبقة من الطين. لقد زودت بعض القلاع ببئر وإسطبل لإيواء الحيوانات وفي بعضها الآخر مسجد ضم صحن مكشوف وبيت للصلاة مسقف بسقف مستو من الخشب كما هـ ي الحال في قلعة الخميسية القريبة من سوق الشيوخ(٥١).

أما في شمال العراق فقد ساعدت الطبيعة الجغرافية للمنطقة على ظهور إمارات قوية مستقلة، طالما شغلت العثمانيين منذ تاريخ مبكر على الرغم من تناحر بعضها مع البعض الآخر . ففي مطلع القرن الثامن عشر تميزت الإمارة ال بابانية بأنها أقوى الإمارات الكردية، ولكنها في القرن التاسع عشر أخذت تضعف بسبب الصراع

الأسري، مما أفسح المجال للإمارة السورانية أن تسيطر وتوسع رقعتها الجغرافية (٥٢). وكان رؤساء هذه الإمارات يشيدون قلاعا تتوزع على رؤوس الجبال في مناطق نفوذهم سعيا لحماية مصالحهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية، فضلا عن ما تضفيه القلعة من مظهر اجتماعي يمنح الأمير مكانة وهيبة في قومه.

وفيما يخص قلاع الزعامات المحلية في شمال العراق، فأنها تختلف عن مثيلاتها في الجنوب، وذلك نظرا لاختلاف البيئة والمناخ والتضاريس الأرضية . ومعظمها ينشأ في مناطق وعرة نائية بعيدة عن طرق المواصلات كي تكون في مأمن حيث يصعب على رجال السلطة الوصول إليها . ومثال ذلك قلعة بوكد التي بناها محمد باشا الراوندوزي في منطقة بوكد. وقلعة دمدم في راوندوز، والأخيرة كانت مشيدة فوق قمة صخرية شاهقة يبلغ ارتفاعها 30م ذكرها الدك تور روص عندما زار المنطقة لمعالجة مصطفى باشا الراوندوزي حيث كانت مقر أقامة هذا الرجل العجوز(٥٣).

وفي دوكان قلعة تشبه قلعة بوكد بالشكل والتخطيط وتنسب إلى محمد باشا الراوندوزي الذي تولى أمارة المنطقة بعد وفاة أبيه سنة 1826م وكان يعرف (بكور) أي الأعور. وقد بنى سلسلة من القلاع في المناطق القريبة من أربيل ورانية وكويسنجق ودوكان . والأخيرة مازالت قائمة على الضفة اليمنى لنهر الزاب الصغير، تقوم فوق جبل يقدر ارتفاعه حوالي 60م. ويقع جنوب غرب مدينة دوكان بمسافة تربو على 3كم، وهي بذلك تكون مبنية وسط منطقة وعرة كثيرة الجبال والوديان.

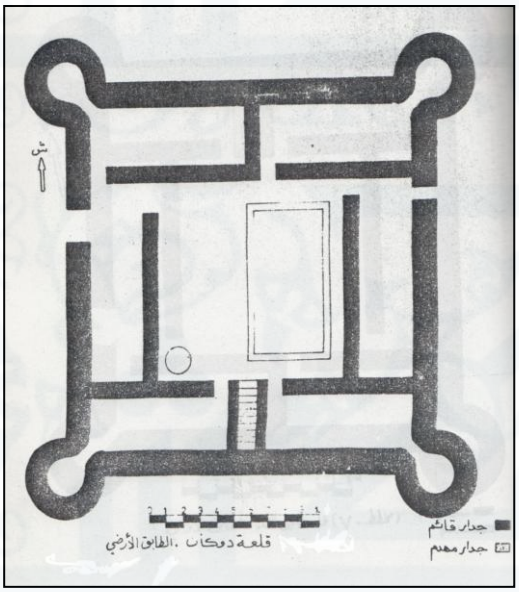

(المخطط - 5) قلعة دوكان عن سعدي الدراجي

وقلعة دوكان مبنية بالحجارة غير المنتظمة والجص، مربعة الشكل طول ضلعها يربو على 22م وسورها من الخارج مدعم بأربعة أبراج اسطوانية قائمة في الأركان، وقوام تخطيطها من الداخل صحن تحيط به م ن الجهات الأربعة قاعات كبيرة مبنية بطابقين ومسقفة بسقوف مستوية من الخشب . وفي صحن القلعة حوض ماء مبني بالحجارة المنحوتة والجص ينقل أليه الماء من بئر دائري محفور في الزاوية الجنوبية الغربية من القلعة.(المخطط – 5)

ولا تختلف قلعة بوكد في تخطيطها وبنائها عن قلع ة دوكان وكلاهما مزود بستارة يتخللها عدد كبير من المزاغل موزعة في كل الاتجاهات . كما زودت القاعات بنوافذ تفتح على الصحن وملاقف هواء(٥٤).

القلاع العراقية (دراسة مقارنة)

يتميز تخطيط القلاع التي قامت عليها الدراسة بأنها ذات شكل تقليدي، يتألف من سور مربع أو مستطيل مدعم بأربعة أبراج ركنية فخمة، ولها مدخل واحد ينصف أحد أضلاعها الأربعة يقود إلى صحن مكشوف تحيط به أجنحة بنائية من طابق واحد، قوامها قاعات كبيرة لإقامة الجند وفي بعضها حجرات صغيرة مخصصة لأصحاب الرتب، كما زودت ببئر وأماكن خدمية أخرى تعينهم على الإقامة .

إن الصفة الأساسية التي تتصف بها جميع القلاع هي تزويدها باستحكامات دفاعية ميزتها عن المباني الأخرى وتتمثل تلك الاستحكامات بمواضعها المرتفعة وأسوارها وأبراجها ومزاغلها، وقد تميزت أسوار القلاع بمتانتها وارتفاعها وأحاطتها بأبراج أسطوانية مجوفة قائمة في الأركان ،وتوجت الأسوار بشرا فات مربعة وجدت لحماية المقاتلين وتزين البناء .

ولعل وجود الصحن في القلاع كان بدوافع عسكرية وأخرى أمنية، إذ يتيح حرية الحركة للجند داخل القلعة بعيداً عن عيون الخارجين ويصلح كساحة لتدريب المقاتلين، فضلا عن وظيفته الأساسية بوصفه المصدر ال وحيد لدخول الضوء والهواء إلى داخل الأجنحة البناية المحيطة به . وربما يستخدم الصحن في بعض القلاع لربط الخيول، إذ يعد الإسطبل من المكملات الأساسية لها نظرا لأهمية الحيوان واستخدامه كوسيلة في نقل الإنسان وحاجاته ولاسيما في المناطق الوعرة أو النائية.

وتتشابه القلاع المبنية في العراق خلال العصر العثماني مع بعضها من حيث التخطيط العام، وجميعها ذات أسوار مدعمة بأبراج ركنية . والاختلاف يكاد ينحصر بالتفاصيل الداخلية، فعلا سبيل المثال نلاحظ أن جل تخطيط القلاع الحكومية صحن واسع مكشوف تحيط به من الجهات الأربع أجنحة بنائية من طابق واحد،

كما هي الحال في قلعتي راوه وكويسنجق، وكلاهما مبنيتان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وتختلف قلاع الزعامات المحلية القائمة في وسط العراق وجنوبه من حيث التفاصيل الداخلية مع القلاع المبنية من قبل السلطة الحاكمة وان تشابهت معها بالشكل . ومعظمها مربع الشكل مدعمة بثمانية أبراج أربعة منها قائمة في الأركان والباقي تتوسط أضلاعها الأربعة . أما من الداخل فجل مساحتها خالية من الأبنية وتضم جناح أو جناحين والباقي يترك لربط الحيوانات كما في قلعة الكصير وقلعة الرحبه. وفيما يخص قلاع الزعامات المحلية في شمالي العراق فاغلبها يشبه القلاع الحكومية على الرغم من كونها مبنية على مرتفعات شاهقة، وتخطيطها يعتمد على صحن مركزي تتوزع حوله القاعات كما في قلعتي دوكان وبوكد.

أما القلاع المبنية على طرق المواصلات الرئيسة البرية والنهرية فتكون عادة صغيرة المساحة وتتميز ببساطة بنائها . ويعوض عنها أحيانا بالمفاتيل التي هي بمثابة قلاع صغيرة تصمم على شكل أبراج دائرية وتشحن بعدد من المقاتلين وظيفتها مراقبة الطريق وتامين القوافل المارة عبره. وهناك قلاع أخرى تقوم على رؤوس الجبال لتسيطر على الممرات المائية وأسوارها غير منتظمة وتكون شبه دائرية لأنها تأخذ شكل الجبل الذي تقوم عليه . وأحسن مثال قلعة العجوز التي تقع بالقرب من قرية "رفان العليا" شمال غرب مدينة الموصل بحوالي (90كم) ضمن منطقة جبلية وعرة . وكانت هذه القلعة مركزا لدفع الرسوم المفروضة على البضائع التجارية المارة في نهر دجلة باتجاه الموصل، وتقوم فوق قمة جبل يقدر ارتفاعه بأكثر من مئة متر تطل على النهر وتشرف على المنطقة المحيطة بها . وهي محصنة بشكل جيد حيث تبلغ ثخن أسوارها 2م مبنية بالحجارة والجص، ومساحتها كبيرة تقدر من 10.8 دونم تقريبا. في وسطها

مجموعة من الحجرات المهدمة . ويقود إلى القلعة طريق يبدأ من ضفة النهر ويدور صاعدا حول الجبل حتى ينتهي أمام مدخلها الذي يربو عرضه على 2.80م(٥٥).

والحقيقة أن القلاع العراقية لا تختلف عن القلاع الأخرى المبنية في مختلف أرجاء المشرق العربي وبلاد الأناضول من حيث التخطيط . وكان صاحب الإقطاع هناك يبني بالضرورة قلعة داخل الأراضي العائدة له يتخذها مقرا له ولإتباعه، وربما تستخدم مخزنا لإنتاجهم وأسلحتهم وفي داخلها مرابط مخصصة لخيلهم وحيواناتهم . ومعظمها مربع أو مستطيل محصن بأربعة أبراج ركنية ومزود باستحكامات دفاعية تجعلها في غاية المناعة(٥٦).

ولم يقتصر شيوع هذا ال نوع من القلاع على العراق أو المشرق العربي بل تعدتها إلى مختلف المناطق التي خضعت للسيطرة العثمانية في أفريقيا وأوربا، والسبب على ما يبدو يعود إلى بساطة التخطيط وسهولة بنائه، فضلا عن كفأته من الناحية العسكرية، إذ يحقق السيطرة في حالتي المراقبة والدفاع، والتصميم بلاشك يتناسب مع الممارسات اليومية للجند المقيمين فيه ويلبي متطلباتهم وراحتهم، كما انه يتلائم مع الأجواء الصحراوية الحارة والجبلية الباردة .

ولعل وحدة التخطيط في القلاع العثمانية يعود إلى اهتمام الأتراك بالعلوم العسكرية والعمائر المرتبطة بها كأسوار المدن والقلاع والقشل أو الثكنات، وقد أسسوا لذلك مدارس حربية خاصة أسهمت في خلق دراسات حول المنشات الدفاعية وفن التحصين، كانت مزودة بمخططات ورسوم دقيقة . ومن أهم الأمثلة في العراق الإعدادية العسكرية التي أقيمت لها بناية واسعة جنوب القشلة سنة 1879م. ثم المدرسة الرشيدية العسكرية في محلة الميدان، ثم المدرسة الحربية التي أسست في بغداد بأمر السلطان عبد الحميد الثاني وقد تخرجت الدورة الأولى منها عام 1908م وشملت

أربعين طالبا (٥٧).وساهمت المعاهد العسكرية في استانبول أيضا في تطور العلوم العسكرية والجيش وكانت تقبل خريجي الإعداديات العسكرية من مختلف أنحاء الدولة العثمانية(٥٨). كما أنشئت مدارس أخرى كثيرة في بلاد الشام ومصر والشمال الأفريقي ففي تونس على سبيل المثال أسست مدرسة باردو الحربية التي اهتمت خلال القرن التاسع عشر بترجمة الكتب بجانب تدريسها اللغات والحساب والهندسة والجغرافيا وعلم التحصين والصناعات الحربية والقوانين العسكرية(٥٩)

آذن لا غرو أن تتشابه القلاع الليبية المشيدة في العصر العثماني مع القلاع العراقية، رغم تباعد المسافات بينها، فقلاع بنغازي والمرج والقيقب مثلا لا تختلف من حيث التخطيط عن مثيلاتها المشيدة في العراق . كما تتشابه مع القلاع المبنية على الطرق المؤدية إلى الواحات الصحراوية الليبية رغم اختلاف المناخ،بيد أن قلاع الواحات مبنية باللبن لعدم توفر الحجارة هناك، ومن أحسن الأمثلة الباقية قلعة القطرون (الصورة . 3) الواقعة جنوب مرزق 250 كم على طريق القوافل الذي يربط سواحل البحر المتوسط بدواخل أفريقيا، وقلعة براك(٦٠).

(الصورة - 3) قلعة القطرون

وتتقارب فكرة التخطيط بين بعض العمائر والقلاع رغم اختلاف الوظيفة منها على سبيل المثال خانات الطرقبوصفها مبنية في مناطق نائية تستوجب ضمانات كثيرة لتوفيرالراحة والحماية للقوافل والمسافرين الذين يجدون فيها مأوى لهم ولحيواناتهم بعيدا عن المخاطر، لهذا نراها مسورة بجدران عالية مدعمة بأبراج كثيرة ومزودة باستحكامات دفاعية كالمزاغل والشرافات..

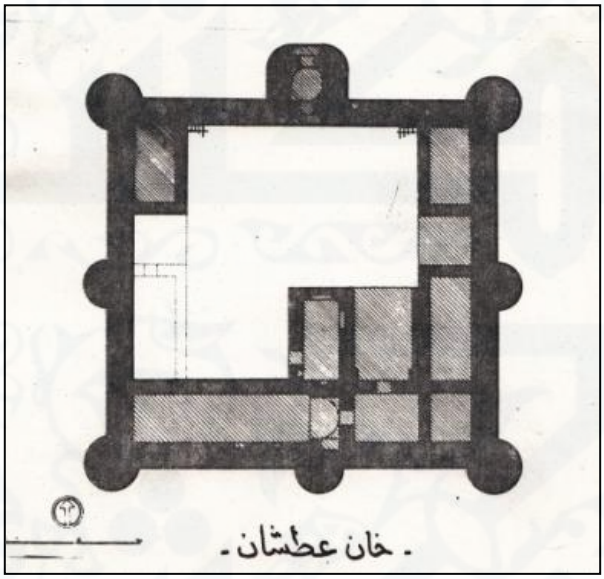

(المخطط - 6) خان عطشان

ومن الجدير ذكرهإن هذا الشكل من البناء لم يكن وليد العصر الذي نؤرخ له بل عرف في العراق منذ العصور السابقة على الإسلام .حيث نجده مجسما في المنحوتات الأشورية بشكل يبعث على الإعجاب. واستمر هذا النمط من القلاع في العصور الإسلامية المختلفة كما شاع في المنشات المدنية والخدمية الأخرى، فنراه ممثلا في بعض القصور الأ موية في بادية الشام . وخان عطشان في العراق المشيد في القرن

الثاني الهجري على أرجح الآراء (المخطط . 6). وتخطيطه يشبه قلاع الزعامات المحلية أو قلاع شيوخ القبائل المنتشرة في وسط العراق وجنوبه مما يدل على أهمية هذا الشكل وفعاليته في الدفاع بوصفة موروث عماري أصيل.

وكذلك خلصت إلينا أمثله من الشمال الأفريقي كثيرة الشبه بالقلاع موضوع البحث أخص منها بالذكر رباطي سوسه والمنستير في تونس (المخطط . 7). أما في ليبيا فأقدم الأمثلة القائمة فيها القصر الفاطمي بجدابية المشيد في القرن الرابع الهجري (الصورة . 4).

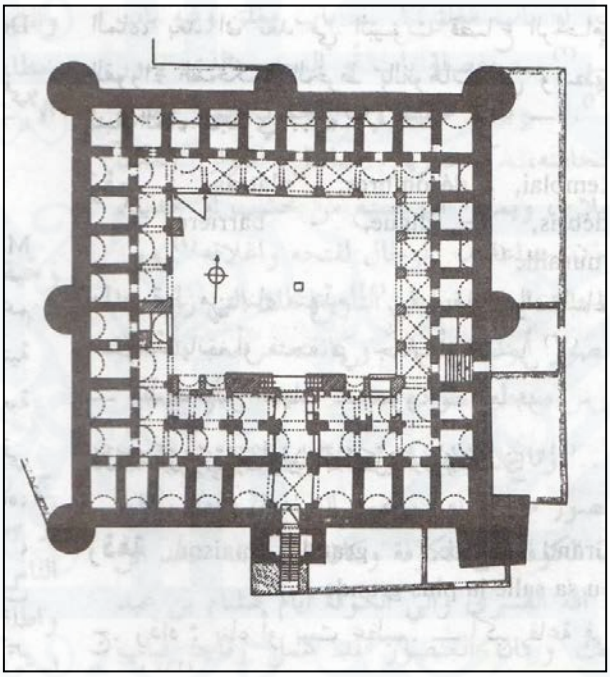

(المخطط –7) رباط سوسة

(الصورة - 4) القصر الفاطمي في اجدابية

الهوامش

1- نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى الع ربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، 1971م، ص233.

٢- اعتماد يوسف القصيري، قلاع بغداد، سومر، م45، 1987-1988م، ص204.

٣- رحلة بالبي إلى العراق، عربها الأب بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2005م، ص73.

٤- تافرنية، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنية، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد، مطبعة المعارف،بغداد، 1944م، ص79.

٥Parsons,A,Travals in Asia and Africa, London,1808 ,PP, 124-125.

٦- نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الامين، دار الجمهورية، بغداد 1965م، ص31.

٧أوليا جلبي، بغداد في رحلة اوليا جلبي(1645و 1652م)، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد33، 2012، ص207.

٨- مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كندة – العراق سنة 1881م – 1296هـ، نقله الى العربية علي البصري، دار منشورات البصري، بغداد (13787- 1958)، ص136.

٩- مصطفى جواد، واحمد سوسه، دليل خارطة بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1378-1958م، ص214.

١٠- المرجع نفسه، ص215.

١١- احمد سوسه، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الثاني، مطبعة الأديب، بغداد،1965م، ص366.

١٢- سعيد الديوه جي, بحث في تراث الموصل, دار الكتب، الموصل ، 1982م، ص103.

الصوفي, خطط الموصل، مطبعة الربيعين، الموصل، 1953م, ص85.

١٣- محمد أمين العمري , منهل الأولياء الأصفياء في سادات الموصل الحدباء , تحقيق سعيد الديوه جي، ج1، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1967م، ص 135-136.

ياسين العمري, منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء, تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، 1359هـ، ص73.

١٤- داود الجلبي، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة الأديب النجف، 1974م, ص106.

١٥- نقولا سيوفي، مجموعة الكتابات المحررة في أبنية مد ينة الموصل، تحقيق سعيد الديوهجي ,مطبعة شفيق، بغداد، 1956م، ص130-131.

١٦- سعيد الديوه جي, بحث في تراث الموصل, ص 106-107.

١٧- تافرينة, المصدر السابق، ص58.

١٨- فنشنسو، رحلة الأب فنشنسو الى العراق، ترجمة بطرس حداد، مجلة مجمع اللغة السريانية، م 1، 1955م، ص194.

١٩- تيفنو, مقتطفات من رحلة تيفنو إلى العراق (القرن السابع عشر), ترجمة بطرس حداد , مجلة بين النهرين, السنة الثانية، العدد الثامن, 1974، ص389.

٢٠- نيبور, المصدر السابق, ص108.

٢١- بكنغهام, جمس، رحلتي إلى العراق سنة 1816, ترجمة سليم طه التكريتي، ج 1، مطبعة اسعد، بغداد(1968م)، ص65.

٢٢- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين،ج 4، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1947م، ص202.

٢٣- Eloy.A, Relations Voyages En Orint De 1830-1838, Paris, 1843, P-224.

٢٤- جون أثر، مشاهدات جون أثر بالعراق سنة 1814م، ترجمة جعفر خياط، سومر، مجلد 21، 1965، ص111.

٢٥- Cowper, H,S, Through Turkish Arabia, London – 1894, P.334.

٢٦ – ولستيد, جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا , ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد، 1984م، ص13.

٢٧- علي الخاقاني، شعراء الحلة، ج1، المطبعة الحيدرية، النجف،1953م، ص466.

٢٨- سعدي إبراهيم الدراجي، تحصينات البصرة في العصر العثماني، دور البصرة في التراث العلمي العربي، مركز إحياء التراث، 1991م، ص409.

٢٩- نوفان رجا الحمود، العسكرية في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1981م، ص101

٣٠- عبد الرزاق عباس حسين،نشأة مدن العراق وتطورها، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1977م، ص60

٣١- ريج، رحلة ريج إلى العراق عام 1820م، ترجمة بهاء الدين نوري، ج 1، مطبعة السكة الحديدية، بغداد، 1951، ص40

لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط3، مطبعة برهان، بغداد، 1962م، ص219.

٣٢- طه باقر وفؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الأولى، بغداد ، 1962م، ص25.

٣٣- ريج، المصدر السابق، ج1، ص40.

٣٤المنشئ البغدادي، رحلة المنشئ البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، ج1،شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1948م، ص40.

٣٥- سعدي إبراهيم الدراجي، عمارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى قسم الاثار جامعة بغداد ، 1985م، ص33 ، 82.

٣٦- يوسف رزق الله غنيمة، تجارة العراق قديما وحديثا، مطبعة العراق، بغداد، 1922، ص86.

٣٧- سعدي إبراهيم الدراجي، عمارة القلاع وتخطيها في شمالي العراق، ص106- 108.

٣٨- ياسين عبد الكريم، دور العراقيين في المؤسسة العسكرية العثمانية، حضارة العراق، ج 10، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985، ص56.

٣٩- نظمي زادة مرتضي، المصدر السابق، ص203.

٤٠- بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، 1373هـ .1954م، ص29.

٤١المصدر نفسه، ص30.

٤٢- المفتول: بناء على شكل برج يكون عادة مستدير الشكل يتكون من طابقين، ينتهي بستارة متوجة بشرفات ومزودة بمزاغل للرمي بالبنادق، ولا يوجد في داخل المفتول أحيانا سوى درج يساعد على الصعود إلى الأعلى.

٤٣- عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، لبنان1972م، ص162-163.

علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد، 1977م، ج5، ق1، ص263

٤٤- عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، مطابع دار لبنان، بيروت،1972، ص194.

٤٥- رجوان فيصل الميالي، القلاع في وسط وجنوب العراق، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة إلى قسم الآثار، جامعة بغداد، 2009م، ص93.

٤٦- ريج ، المصدر السابق، ص12

٤٧- للمزيد عن هذه القلاع انظر، رجوان ، ص13-86.

٤٨- تكسيرا، رحلة تكسيرا إلى العراق سنة 1604م، ترجمة جعفر خياط، مجلة الأقلام، 1964 ج4، ص138.

٤٩- تايلر، رحلة تايلر إلى العراق عام1790م، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد، م11، 1982م، ص25.

٥٠- رجوان فيصل الميالي، المرجع السابق، ص21.

٥١ - المرجع نفسه، ص80.

٥٢- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1387- 1968، ص99

٥٣- جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد في 1834م، ترجمة جعفر خياط، مطبعة المعارف، بغداد، 1964م، ص17

٥٤- سعدي إبراهيم الدراجي، عمارة القلاع وتخليطها في شمالي العراق، ص71- 76.

٥٥- المرجع نفسة، ص36.

٥٦- المرجع نفسه، ص27.

٥٧- ياسين عبد الكريم، تاريخ الثكنات والمقرات العسكرية في العراق بين 1831. 1914م، الجيش والسلاح، ج5، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص330.

٥٨- ياسين عبد الكريم، دور العراقيين في المؤسسة ال عسكرية العثمانية، حضارة العراق، ج10، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985، ص58.

٥٩- مدرسة باردو الحربية، دراسة وتحقيق محمود عبد المولى، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس،(1977)، ص112.

سلامة عبد الحكيم القفصي ، ملاحظات حول المنشآت الدفاعية من خلال بعض المخطوطات التونسية في القرن التاسع عشر،المؤتمر العالمي الأول المدونة الأثر العثمانية، تونس (1997) ، ص48.

٦٠- سعدي إبراهيم الدراجي، قلاع العثمانية في برقة، أعمال المؤتمر العالمي الخامس لمدونة الآ ثار العثمانية، تونس، 2001، ص55.

المصادر والمراجع

- احمد سوسه، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الثاني، مطبعة الأديب، بغداد، 1965م.
- اعتماد يوسف القصيري، قلاع بغداد، سومر، م45، 1987-1988م.
- أوليا جلبي، بغداد في رحلة اوليا جلبي (1645و 1652م)، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد33، 2012.
- بغداد كما وصفها السواح الأجانب في ال قرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، 1373هـ .1954م.
- بكنغهام, جمس، رحلتي إلى العراق سنة 1816, ترجمة سليم طه التكريتي، ج 1، مطبعة اسعد، بغداد(1968م).
- تافرنية، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنية، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد، مطبعة المعارف،بغداد، 1944م.
- تايلر، رحلة تايلر إلى العراق عام1790م، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد، م11، 1982م.
- تكسيرا، رحلة تكسيرا إلى العراق سنة1604م، ترجمة جعفر خياط، مجلة الأقلام، ج4. 1964.

– تيفنو, مقتطفات من رحلة تيفنو إلى العراق (القرن السابع عشر), ترجمة بطرس حداد , مجلة بين النهرين, السنة الثانية، العدد الثامن, 1974.

– جون أثر، مشاهدات جون أثر بالعراق سنة 1814م، ترجمة جعفر خياط، سومر، مجلد 21، 1965.

– جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد في 1834م، ترجمة جعفر خياط، مطبعة المعارف، بغداد، 1964م، ص17

– داود الجلبي، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة الأديب النجف، 1974م.

– رجوان فيصل الميالي، القلاع في وسط وجنوب العراق، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة إلى قسم الآثار، جامعة بغداد، 2009م.

– رحلة بالبي إلى العراق، عربها الأب بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2005م.

– ريج، رحلة ريج إلى العراق عام 1820م، ترجمة بهاء الدين نوري، ج 1، مطبعة السكة الحديدية، بغداد، 1951، ص40.

– سعدي إبراهيم الدراجي، عمارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الآثار جامعة بغداد ، 1985م.

– سعدي إبراهيم الدراجي، تحصينات البصرة في العصر العثماني، دور البصرة في التراث العلمي العربي، مركز إحياء التراث، 1991م.

– سعدي إبراهيم الدراجي، قلاع العثمانية في برقة، أعمال المؤتمر العالمي الخامس لمدونة الآثار العثمانية، تونس، 2001.

– سعيد الديوه جي, بحث في تراث الموصل, دار الكتب، الموصل ، 1982م.

– سلامة عبد الحكيم القفصي، ملاحظات حول المنشآت الدفاعية من خلال بعض المخطوطات التونسية في القرن التاسع عشر، المؤتمر العالمي الأول المدونة الأثر العثمانية، تونس، 1997.

– الصوفي, خطط الموصل، مطبعة الربيعين، الموصل، 1953م, ص85.

– طه باقر وفؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الأولى، بغداد ، 1962م، ص25.

– عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج4، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1947م.

– عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، مطابع دار لبنان، بيروت، 1972، ص194.

– عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، لبنان 1972م، ص162–163.

– عبد الرزاق عباس حسين، نشأة مدن العراق وتطورها، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1977م، ص60

– عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1387– 1968.

– علي الخاقاني، شعراء الحلة، ج1، المطبعة الحيدرية، النجف،1953م.

– علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،، ج5، ق1، بغداد، 1977م.

– فنشنسو، رحلة الأب فنشنسو إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، مجلة مجمع اللغة السريانية، م1، 1955م.

– لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط 3، مطبعة برهان، بغداد، 1962م، ص219.

– محمد أمين العمري , منهل الأولياء الأصفياء في سادات الموصل الحدباء, تحقيق سعيد الديوه جي، ج 1، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1967م.

– مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كندة – العراق سنة 1881م – 1296هـ، نقله إلى العربية علي البصري، دار منشورات البصري، بغداد (13787– 1958).

– مدرسة باردو الحربية، دراسة وتحقيق محمود عبد المولى، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس،(1977).

– مصطفى جواد، واحمد سوسه، دليل خارطة بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1378– 1958م.

– المنشئ البغدادي، رحلة المنشئ البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، ج 1، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1948م.

– نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، 1971م.

– نقولا سيوفي، مجموعة الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، تحقيق سعيد الديوهجي ,مطبعة شفيق، بغداد، 1956م.

– نوفان رجا الحمود، العسكرية في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1981م.

– نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، دار الجمهورية، بغداد 1965م.

– ولستيد, جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا , ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد، 1984م.

– ياسين عبد الكريم، تاريخ الثكنات والمقرات العسكرية في العراق بين 1831.1914م، الجيش والسلاح، ج5، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1988.

– ياسين عبد الكريم، دور العراقيين في المؤسسة العسكرية العثمانية، حضارة العراق، ج 10، دار ا لحرية للطباعة، بغداد، 1985.

– ياسين العمري, منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء, تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، 1359هـ.

– يوسف رزق الله غنيمة، تجارة العراق قديما وحديثا، مطبعة العراق، بغداد، 1922.

Cowper, H,S, Through Turkish Arabia, London – 1894.

Eloy.A, Relations Voyages En Orint De 1830-1838, Paris, 1843.

.Parsons,A,Travals in Asia and Africa, London,1808

Architecture of planning castles in Iraq
(contrastive study)

Prof. Dr. Saady Ibraheem Al-daragy
Centre of revival heritage
Baghdad university

(**Abstract Research**)

This paper shed light on castles in Iraq through Othman reign to know their sorts , and studying planning concentrating on the nature of architecture , this is a serious trying to study and important side of military architecture in Iraq with its reasons of building them which had related with political, military , social ,and economical circumstances of country .

It is not doubt of talking about examples of castles trying to save them from wasting , describing them as a civil heritage of historical period .

There were three kinds of castle in Iraq :-

1-interior one .

2- building ones .

3- local castles in south and North of Iraq .